

الخروج بما قدمت يداه على حد قول الرسول ﷺ: «من أراد لقاء الله أراد الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»<sup>(١)</sup>.

ولـ ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إخراجات، منها ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ من غمرات العذاب إن كنتم فاعلين، هزءاً بهم كما هزئوا بآيات ربهم، أو ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المخلدة إلى هذه الحياة الشرسة المُحرِجة لعباد الله، فاعلين بهم فعلة الغريم الملازم المُلحّ، باسطاً يديه إلى من عليه الحق.

وعلى أية حال فالأمر هنا بين تعجيز هازئ وبين تكليف واقع لا يستطيعون أن يتخلفوا عن أمره على أمره.

ومما تدل عليه ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ دون ﴿أَخْرِجُوا﴾ أن الأنفس هي غير الأبدان مهما كانت وليدة منها وكما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدَّأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>(٢)</sup> فالروح - إذاً - خلق آخر أنشئ من البدن بعد اكتماله جيناً.

كما تدل ﴿الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ﴾ على الحياة البرزخية ابتداء بالموت حيث اليوم هو يوم خروج الأنفس.

و﴿الظَّالِمُونَ﴾ هنا هم رؤوس الظلم ومنهم المختلقون هذه الأحاديث الزور تشويشاً على وحي القرآن، ثم الناقلون لها دونما رد عليها تلقياً بالقبول! مهما كان الأصل هم المشركون، فإن واجهة الخطاب من قبلهم المشركون ومن بعدهم أنفسهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءٌ...﴾ ولكن أشباههم يصطلون بصلاتهم في الجحيم.

فكما ﴿الظَّالِمُونَ﴾ شرعة الوحي أدخلوا السدج العوام في غمرات الارتياب، كذلك اليوم يجزون عذاب الهون بما كانوا يقولون على الله غير الحق..

(١) تفسير الفخر الرازي ١٣ : ٨٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

هنا ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ عذاب مع الهوان قضية الافتراء على الله كذباً، وتكذيب لآيات الله إهانة بها ومهانة واستكباراً، فعذاب الهون جزاءً وفاق للافتراء الهون والاستكبار فيُخلد فيه مُهاناً.

وهكذا يتوفى الذين كفروا بكلّ إيعاد وهوان: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ ذلك بما قَدَمْتَ أَيديكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾<sup>(١)</sup> يضربون وجوههم لمواجهة العذاب، وأدبارهم حين لا يحنُّون لخروج أنفسهم، وهذه أولى حرقه لعذاب الهون: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

هل الخطاب في ﴿جِئْتُمُونَا﴾ هو من الله؟ والكفار ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>! فليكن من الملائكة نقلاً عن الله؟ وصالح التعبير - إذاً - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا . . . كَمَا خَلَقْتُمْ﴾!

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> إضافة إلى اختصاص السلب بيوم القيامة، لا تعني إلا كلام العطفة الرحمة، وأما كلام التنديد والزحمة فهم مستحقوها على أية حال، اللهم إلا يوم الدنيا حيث لا يواجهون بخطاب إلا بوسيط الوحي.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ لعالم الحساب والجزاء، فكلنا جاؤون إلى الله، إلى ربوبيته في عالم التكليف يوم الدنيا، وإلى ربوبية الجزاء في عالم الجزاء،

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٠، ٥١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

وهنا زيادة أن المكلفين لا خيرة لهم في أعمال، إلا الجزاء الموعود لهم ثواباً وعقاباً.

﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ بالخلق الثاني يوم القيامة، فرداً عريان وأجرد غلبان، لقد ندّ عنكم كل شيء وتفرق عنكم كل أحد وما عدتم تقدرتون على شيء مما خولكم الله إياه، فأصبحتم دون أي جمع أو قوة إلا كل بنفسه ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث لا جمع ولا قوة، بفارقين اثنين: أن المحافظين من الوالدين وسواهما هنا ليسوا هناك، وأنكم تحملون معكم مستحق الثواب أو العقاب، ف﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ...﴾ تقضي على الأول، وكونه يوم الجزاء يحكم بالثاني، وكافة الوسائط المزعومة والشفعاء المتخيلة مقضي عليها بـ «تركتم - إلى - تزعمون».

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ من قوات ذاتية، وأخرى منفصلة من أموال وبنين وما شأبه، إنها كلها متروكة وراء ظهوركم، حيث ظلت في الحياة الدنيا وضلت عنكم في الأخرى، فما يحولنا الله إياه من طاقات وإمكانيات متصلة أو منفصلة هي متروكة لمساعدتنا، أن نتركها وراء ظهورنا إذ لم نستفد منها ولم نُفد في مرضات الله، أو نقدمها لأنفسنا ﴿وَمَا نُفَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> فليس «جئتمونا فرادى وتركتم» إلا على الأولين، ثم الآخرون يجيئون الله بجمعهم الخير وعملهم النير مما قدموه لأنفسهم.

ثم ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾ الله، أو شركاء في حيوياتكم الدنيوية، وفي عبارة مختصرة محتصرة ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ما بينكم وبين مزاعمكم ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ ما كنتم تزعمون ﴿من شركائكم وكل من يناصركم في غمراتكم﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

فالكافرون - إذا - هم فرادى عن جمعهم وما كانوا يكسبون حيث لا تنفعهم، والمؤمنون ليسوا فرادى حيث جمعوا إلى أنفسهم مرضات الله في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾<sup>(١)</sup> وهو أجمع جمع ينفع يوم لا ينفع أي جمع.

وعلى ﴿فُرْدَى﴾ هي جمع «فردان» كسكارى جمع سكران، أو جمع «فريد» كردافى جمع رديف.

ثم الفردان والفريد تعنيان التفرد عن غير أنفسهم، فاضية حاوية عما كانوا يزعمون من جمع وناصرين، فما لهم من جمع هناك ولا ناصرين ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ...﴾.

ولأنه لا فصائل هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع، فالمراد - إذا - لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة، التي تشبه لاستحكامها بالحبال المَحْصَرَة والقرائن المؤكدة.

فمهما كانت تلك الوصلات هنا أكيدة بكل مكر ومكيدة، فهي تبدل إلى انفصالات أكيدة، تقطعاً بعد التوصل، وتشتتاً بعد التحصّل.

وهنا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ منصوباً ذات وجهين، نصباً بالمفعولية والفاعل هو الله المضمّر في ﴿تَقَطَّعَ﴾ أي تقطع الله بينكم، أو تقديراً لـ ﴿مَا﴾ فهي ظرف لها، لقد تقطع ما بينكم.

ثم ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ﴾ سلب لشفاعتها لهم، لا لكونها معهم في الأخرى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ ِلْهَةِ مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾<sup>(٢)</sup> فالمعية المنفية هي المناصرة بصفة الشركاء كما كانوا يزعمون، فلا تعني سلب

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨، ٩٩.

وجود الشركاء معهم هناك خارجة عن معية الإشراف، إلى معية الخلود في النار.

وقد تلمح ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أنه «إذا كان يوم القيامة حشر الناس حفاة عراة عزلاً»<sup>(١)</sup>، وحين يُسأل رسول الله ﷺ على المحكي: «واسوأته إن الرجال والنساء سيحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوءة بعض؟ يجيب: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض»<sup>(٣)</sup>.

وقد تعني ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ...﴾ في خصوص ﴿جِئْتُمُونَا فُرْدًا﴾ فيحشر الناس - إذاً - بأكفانهم أو ما يستترهم من غيرها<sup>(٤)</sup> فإن «ما نرى...».

(١) الدر المنثور ٣: ٣٢ - أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول: ...

(٢) سورة عبس، الآية: ٣٧.

(٣) المصدر أخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن عائشة أنها قرأت قول الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] فقالت عائشة يا رسول الله ﷺ: ...

وفيه عن الخرائج والجرائح عن النبي ﷺ حديث طويل يذكر فيه فاطمة بنت أسد وفيه قرأت عليها يوماً ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] فقالت: واسوأته بالله فسألت الله أن لا يبدي عوراتها ثم سألتني عن منكر ونكير فأخبرتها بحالهما قالت وا غوثاه بالله فسألت الله أن لا يريهما إياها وأن يفسح لها في قبرها وأن يحشرها في أكفانها.

وفيه عن أصول الكافي عن أبي عبد الله ﷺ حديث طويل يحكي فيه ما صنع رسول الله ﷺ بفاطمة أم أمير المؤمنين ﷺ لما توفيت يقول فيه ﷺ قال ﷺ: وإني ذكرت يوم القيامة وأن الناس يحشرون عراة كما ولدوا فقالت واسوأته فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاه فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك فكففتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك.

(٤) المصدر في الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله ﷺ قال: توقوا في الأكفان فإنكم تبعثون بها، وفيه في الفقيه قال ﷺ جيدوا أكفان موتاكم فإنها زينتهم، وفيه عن الاحتجاج عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل وفيه قال السائل: أخبرني عن الناس يحشرون يوم القيامة عراة؟ قال: بل يحشرون في أكفانهم، قال: أتى لهم بالأكفان وقد بليت؟ قال: إن الذي أحیی أبدانهم جدد أكفانهم، قال: فمن مات بلا كفن؟

تسلب ما ينفع يوم لا ينفع مال ولا بنون، أم إن المؤمنين يُحشرون  
بأكفانهم احتراماً وغيرهم عراة اختراماً، وهذا قول فصل بين مطلق السلب  
والإيجاب يؤيده اختصاص الخطاب بالكافرين .

ذلك المشهد الذي يهز القلب هزاً عنيفاً وهو يشخص ويتحرك ويلقي  
ظلاله على النفس ويسكب إحياءاته في القلب . . إنه منشور ولاية الله، إنه  
القرآن العظيم الذي هم عنه معرضون، فأين تذهبون وأننى تؤفكون؟ أيفكاً  
آلهة دون الله تريدون .



= قال : ستر الله عورته بما يشاء من عنده، قال : فيعرضون صفوفاً؟ قال : نعم هم يومئذ عشرون  
ومائة ألف صف في عرض الأرض .

﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُۥ بَيْنَ وَبَيْنَ ۗ بَدَّلَ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۗ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَٰبِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿١٠٥﴾ أَنْبِغَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ  
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا  
 أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا  
 اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ  
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

وهكذا تدافع الموجات المتلاحقة القرآنية في مجاريها المتدفقة المتلفقة، عن روعة باهرة يصل إليها التعبير والتصور والإيقاع من سياقها.

فالقارئ يحس كأنما المشاهد تنبثق انبثاقاً مباشراً بمدلولاتها بكلّ التمتع ولألاء، متجلية للحواس والعقول والقلوب، موجات متلاحقة متلافة تدع الناظرين إليها حيارى، ف ﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾<sup>(١)</sup>! وما نحن في هذا الدرس أمام كتاب التكوين المفتوح برحمة متواترة ربانية يذكرنا بها ربنا ويعمر بها الغافلون سكارى سبات..!:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾<sup>(٣)</sup> عن ظلام الليل،

وفالق المصباح بمادة النور و﴿فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ﴾ وفالق الحي من الميت والميت من الحي، فلا فالق إلا هو كما لا خالق إلا هو، فإنه في التكوين

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الفلق، الآية: ١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.



ككلّ هو «رب الفلق» حيث يفلق النطفة عن المنى، والعلقة عن النطفة، والمضغة عن العلقة، والعظام عن المضغة، والروح عن الجنين: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذلك في فلق الإنسان وبأحرى فيما دونه في كون أو كيان ﴿فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمْ أَتُكذِّبَانِ﴾؟!<sup>(٢)</sup>.

ثم وليس يختص فلق رب الفلق بمادة الكون، بل وبأحرى في الروحيات المتلفقة، فرب الفلق يفلق ما أغلقته الشياطين من غاسق إذا وقب ومن النفاثات في العقد ومن حاسد إذا حسد -.

ذلك، لأن الفلق في أصله هو شق الشيء واستخراج ما فيه، فقد يشمل كل شق فيه خير بعدله ورحمته، وكما فلق السماوات والأرض من المادة الأولية المسماة بـ «الماء» وفلق ذلك الماء لا من شيء إلا بإرادته البديعة، فقد يشمل «رب الفلق» مثلث الفلق كأصل، وسائر الفلق كفروع، ولذلك نسمع الرسول ﷺ يدعو: «اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً أفض عني الدين وأغنني من الفقر وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ﴾ عن موته وكذلك ﴿وَالنَّوَى﴾ إلى حياة نباتية أم حيوانية أو إنسانية، فنوى النطفة تنقلب جنيناً حياً، وذلك إخراج للحى من الميت: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كعملية دائبة دونما أية وقفة، لمحمة من المضارع المقصود به الاستمرار لأنه أهم.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٣.

(٣) الدر المنثور ٣: ٣٤ - أخرج ابن أبي شيبة عن مسلم بن يسار قال كان رسول الله ﷺ

يدعو... .

﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بصيغة الفاعل اللامحة إلى الأقل عملية لأنه دون الأول، أم ولأنه معطوف على ﴿فَالِقُ﴾ ففاعل، و﴿يُخْرِجُ﴾ تفسير لـ ﴿فَالِقُ﴾ ففعل .

﴿ذَلِكَمُ﴾ العظيم العظيم هو ﴿اللَّهُ﴾ دون مَنْ سواه ﴿فَأَنزِلُ نُورًا﴾ تحوّلون إلى كذب خاوي وأنتم تعلمون؟ .

وليس فحسب أن العلم على تقدمه البارع لم يصل حتى الآن إلى سر الحياة، بل ولما يصل أيضاً إلى حقيقة المادة، والعلم كله عند الله ﴿ذَلِكَمُ﴾ اللَّهُ فَأَنزِلُ نُورًا! .

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٩٦) :

﴿الْإِصْبَاحِ﴾ هو الدخول في الصباح، وليس الداخل فيه إلا الشمس الآخذة في طلوعها في الآفاق وعلى ضوئها كلّ المصبحين، فالله هو الذي يفلق الإصباح، حيث يشق ظلام الليل في منتهى انحداره فيفلق ظلام الجو بطلوع الشمس، فالدخول في الصباح بحاجة إلى فلق وهو ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ .

وهو كذلك الصباح ففلقه هو شقه عن الليل بوصول الشمس إلى الآفاق المعنية منذ تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فذلك الخيط لما يفلق عن قرينه فهناك الصباح فقد يعني الإصباح الخيط الأبيض إذ يدخل في الصباح بعد فلقه عن الخيط الأسود من الفجر .

وانفلاق الظلام بالإصباح حركة تشبه انفلاق الحياة عن الحب والنوى، فكما أن الله هو المخرج الحي من الميت في سائر الأحياء من الأموات، كذلك هو المخرج النور عن الظلام، مهما اختلفت شكلية الإخراج والمُخْرِجِ هنا وهناك .